"جنوب لبنان يستقبل إسرائيل"

د. أحلام بيضون

لم أنتق هذا العنوان عبثا، فمن يستمع إلى رئيس جمهورية لبنان السابق أمين الجميل ناطقا ومكررا هذه الجملة، يصيبه دوار أشبه بدوار الصحراء أو البحر، حيث لا يعرف إن كان يجب أن يكمل الإستماع، أو يوقف التلفاز، مكتفيا بهذا التظليل الكبير حتى لا نقول غير ذلك. ولكن ما الذي يدعو رئيس جمهورية سابق أن يدلي بهكذا أقوال في حديث توثيقي للتاريخ. ربما هو هذا الأمر بالذات : تزوير التاريخ. شعرت بالقشعريرة، وأنا بنت، "بنت جبيل"، حيث تم تهجيرنا من ديارنا منذ العام ١٩٧٧، حين خانت مجموعة من أبناء الوطن على رأسهم الملازم في الجيش اللبناني سعد حداد، وتعاونت مع العدو الصهيوني ضد إخوانهم في الوطن، الداعمين للمقاتلين الفلسطينين، والثائرين في الوقت ذاته منذ أوائل السبعينات، من أجل نظام سياسي أكثر عدالة ومساواة. إن هؤلاء، ويشكلون السواد الأعظم من سكان الجنوب، هم من تجاهلهم الرئيس الجميل. بغض النظر عن أن أكثرية أبناء الجنوب هم من الطائفة الشيعية، فإن السنة الجنوبيين كانوا أيضا من حملة لواء تحرير فلسطين، دون أن ننسى اليساريين المسيحيين وأيضا الدروز. بعد هؤلاء ماذا يتبقى من سكان الجنوب حتى يقال "في ذلك الوقت، أي عام ١٩٨٢،

كـل سـكان الجنـوب اسـتقبلوا الإسـرائيليين بـالورد"، وتعـاد الجملـة عـدة مـرات. هـل أن الـرئيس جميـل يسـره أن يحـول سـكان جنـوب لبنـان إلـى خونـة وعمـلاء فـي سـياق تبريـره لإسـتقبال الإسـرائيلين فـي دارتـه، وتعهـده بالتعـاون معهـم، فـورد علـى لسـانه مـا ورد فـي رد علـى السـؤال الإسـتفهامي للإعلامـي الـذي حـاوره مـن قنـاة العربيـة؟ يسـجل للـرئيس الجميـل أنـه كـان صـريحا ولـم ينكـر مـا جـرى بينـه وبـين الإسـرائيليين، ربمـا لأنـه لا يسـتطيع، إمـا لأن ذلـك موثـق، أو لأنـه لا يريـد أن يكـذب. ولكـن بمـا أنـه لـم يقـل الحقيقـة فيمـا يتعلـق بموقـف الغالبيـة السـاحقة مـن أهـل الجنـوب المعـادي لإسـرائيل، فـالأرجح أن تهمـة التعـاون مـع الإسـرائيلين ثابتـة عليـه ولـيس بإمكانـه رد التهمـة. إن سياسـته المهادنـة لإسـرائيل، دون رضـا الشـعب اللبنـاني، وخاصـة أهـل الجنـوب، والتـي تمثلـت باتفـاق ١٧ أيـار عـام ١٩٨٣ البـائس، وقصـفه الممـنهج للضـاحية الجنوبيـة بالتعـاون مـع البـوارج الأمركيـة لا تجعـل بإمكانـه تحريـف الوقـائع الثابتـة، فلـم يعـد بالإمكـان سـوى التبريـر أو التحريـف. لقـد كـان مـن الأفضـل للـرئيس الجميـل أن يبـرر السياسـة التـي اتبعهـا فـي ظـل الإحـتلال الإسـرائيلي بطريقـة مختلفـة، عنـدها لـن يلومـه أحـد، أمـا أن يتهمنـا جميعـا بالعمالـة للعـدو، فعفـوا فخامـة الـرئيس السـابق لن نسمح لك بذلك.*

---

* الحـديث حصـل فـي إعـادة مقابلـة مـع الـرئيس أمـين الجميـل علـى محطـة العربيـة الفضائية، أجراها الإعلامي باسم بركة، في ٢٠١١/١/٩.